ذكريات

دمه العربي ...

للأديب حسين شوقي

حينما كنتُ في باريز أتلقى دراسة القانون تعرفتُ بالفندق الذي كنتُ أقيم فيه بالحيّ اللاتيني (حيّ الطلبة) بطالب اسباني، وقد دفعتني إلى حب التعرف به معرفتي للغة الاسبانية، (فقد قضيتُ خمس سنوات باسبانيا)، والميل إلى التمرن عليها.. كذلك جذبتني إليه سيماه العربية كسمرة بشرته، وعيونه السوداء، وهي في حدتها كعيون البدو في الصحراء، وجذبني إليه اسمه العذب الذي ينتهي بحرف «الثاء» إذ كان يدعى مونيوث، وهذا الحرف لا يوجد على ما أعلم — إلا في اللغة العربية، فورثته الاسبانية عنها..

كنا نقضي الليل أنا وهو في كثير من الأحيان، في مقهى ليلي جميل يديره بعض الصينيين بالحيّ اللاتيني، ذلك الحي الذي لم يكن تخلّى بعد لحي مونبرناس (حيّ الشعراء والفنانين) عن إمارة الليل..

وكان مجلسنا يضمّ أيضاً طالبين اسبانيين، وطالباً آخر من جزر الفلبين..

وا أسفاه على تلك الليالي الغابرة التي قضيناها في المتاع واللهو! بينما كنا ذات ليلة جالسين كالعادة في المقهى ننعم بالرقص والموسيقى، إذا بأحد الشبان يصفع صديقته وقد رآها تتبادل النظرات غير المشروعة مع شاب آخر.. فغضب مونيوث لهذا المنظر، وهمّ بالتدخل في الأمر لولا أننا أمسكنا بسترته لأننا كنا نخالفه الرأي اشفاقاً على العاشق المخدوع الذي لم يقدم على عمله في اعتقادنا، إلا تحت سلطان الغيرة..

وقد دفعنا هذا الحادث إلى الخوض في موضوع الغيرة فاطبق رأينا على أنها شعور طبيعي يلازم الحب، وعلى أنها مقياس حرارته الصادق، بخلاف مونيوث الذي كان يرى في الغيرة شعوراً أولياً همجياً تمكن القضاء عليه بالتربية والتهذيب كما قضت المدنية من قبل على بعض عيوب البشر الأولى..

فقال عندئذ فرناندو — الطالب الفليبيني — موجهاً الكلام لونيوث:

إذا كنت ياصديقي لا تغار فما بالك تحجب عنا حبيبتك نانيت؟

فبهت مونيوث لهذا السؤال المفاجئ وتلعثم قائلاً:

أنا لا أحجب نانيت بل هي التي تعرض عن الحضور لأنها لا تحب الرقص..

فصاح ريكاردو، أحد الطالبين الآخرين:

يا للعذراء! هل هناك فتاة تبغض الرقص؟ إن رجليّ البائستين لم تعودا تحملانني من كثرة ما رقصت مع صديقتي سيمون!

فقلت بدوري لمونيوث:

ولكني لم أشاهد صديقتك نانت هذه!

فتدخل فرناندو قائلاً:

إنه يخاف عليها يا عزيزي كما تخاف القطة على صغارها

ثم استمررتُ موجهاً كلامي لمونيوث:

لا يمكن إلا أن تكون غيوراً ياصديق، ففي عروقك الدم الشرقي العربي الفائر..

ولكن مونيوث أصر على إنكاره الغيرة كما أنكر الدم العربي، واعداً إحضار نانيت معه في أقرب فرصة...

ولكن مونيوث طبعاً لم يف بوعده..

***

تعرفت بعد ذلك بأيام بنانيت هذه بالفندق، إذ أتت لتزور مونيوث وكان إذ ذاك معتل الصحة، فعذرت عندئذ صديقي لحرصه على نانيت، لأنها كانت جميلة الى حد بعيد، بشعرها الذهبي المنفوش، وعينيها الخضراوين اللتين كأنهما عينا قطة أنقرية..

ولما كنا في ذلك الوقت في أواخر شهر ديسمبر، وضعنا ذات ليلة برنامج سهرة في ليلة رأس السنة، ووعدنا مونيوث باصطحابه نانيت في تجوّلنا تلك الليلة بمقاهي باريز الليلية.. على أننا شككنا في هذا الوعد أيضاً.. ولكن حينما جاءت الليلة الموعودة، أقبلت نانيت متأبطة ذراع صديقها! بدأنا طوافنا بالذهاب إلى ملهى «الطاحونة الحمراء» حيث كانت الممثلة الاسبانية الرشيقة «راكل ملر» تخلب البارزيين بصوتها الشجيّ ورقصها السماويّ..

ثم انتقلنا بعد ذلك الى مقهى قريب من «الطاحونة الحمراء»

بدىره بعض أشراف الروس الذين هاجروا من بلادهم على أثر قيام النظام الشيوعى فى روسيا ؛ وكان المحل غاصاً بالأجانب والفرنسيين على السواء الذين أتوا ليستقبلوا السنة القادمة بين المرح والسرور عساها تأتى لهم بالسعادة . . . ؟ !

جلسنا فى البار الذى كان مرتفعاً حتى نستطيع أن نشرف على المرقص بأجمه . . ثم شاهدت بعض أصدقائى من المصريين جالسين بالقرب من حلبة الرقص ، فانتقلت الى مائدتهم لتحيتهم . . . ولكن لم يمض زمن طويل على وجودى معهم حتى سمعنا جلبة قوية آتية من جهة البار ، فذهبت لفورى الى هناك فاذا بأصدقائى الأسبان يتشاجرون مع بعض الفتية الفرنسيين ، وقد تمكن الحاضرون من تفريقهم بعد جهد كبير دون الالتجاء الى البوليس . . أما سبب المعركة فكان نانيت ! والمحرك الأول هو مونيوث !

غازل شاب فرنسى جميل نانيت ، ولكن مونيوث لم يفعل شيئاً وقتئذ برغم ملاحظته للأمر ، وذلك عملاً بعادته السلبية وتغلباً على الغيرة المرذولة ! ولكن مونيوث المسكين لم يطق صبراً حينما شاهد نانيت تبتسم بدورها لمغازلها ، فأفلت منه جواد الغيرة الجامح . . فأمسك مونيوث بكرسى وقذف به الشاب الفرنسى عندئذ هب بعض الفرنسيين الحاضرين للدفاع عن مواطنهم ، وكان بغض الفرنسيين للأجانب شديداً فى ذلك العهد ، فهب الاسبان بطبيعة الحال للدفاع عن مونيوث

انتقلنا بعد ذلك الى صيدلية ضمدت فيها الجراح وأهمها جرح بليغ فى شفة مونيوث السفلى ، إذ كنا عازمين على السهر الى آخر الليل حتى لانستقبل السنة الجديدة بمثل هذا الحادث المكدر . . ثم قصفنا طويلا فى أحياء باريز المختلفة

سألت مونيوث ونحن فى طريق العودة الى الفندق ألا يزال ينكر الغيرة ولا يؤمن بدمه الشرقى العربى ؟ فأومأ برأسه اعترافاً بهزيمته أمام الغيرة ، وبما يخالط دمه الاسبانى من دم عربى حر . .

واكتفيت بهذا الايماء ، فان الكلام كان يؤلمه ، لأن فمه لايزال دامياً ، ولعل قلب مونيوث المسكين كان أدمى من فمه ! . .

كرمة ابن هانئ

حسين شوقى

من شعر الشباب

الطائر السجين

للأستاذ محمود الخفيف

راسفٌ فى القيد موصول الأنين   مطرق الهامة فى يأس حزين
تلمح الحسيرة فى نظرته   نظرة اللوعة والغيظ الدفين
وترى الثورة فى إذعانه   وهو بالأذعان من قبلُ ضنين
ناسل الريش نحيل شاحب   ذابل المقلة محزون الجبين
ساهم طوراً وطوراً راقص   رقصة المُوثَق بين الموثقين
سائل عن ذنبه فى حسرة   وسكوت هو كالنطق مبين
نائح فى يأسه ملتمس   رحمة الغادين بعد الرائحين
يحسب الرائى إليه مشفقاً   يعرف الرأفة بالمستضعفين
فيرجِّى الغوث فى إقباله   ولقد يرجى مع اليأس اليقين
فاذا مر به فى غلظة   وجمود عاد مكروب الحنين
يتمنى الموت فى محنته   ضجعة الموت خلاص اليائسين
وإذا أبصر سرباً عابراً   وهو فى السجن رهين مستكين
هز للطير جناحيه كما   جرّر الأغلال فى الأسر سجين
نسى القضبان فى لهفته   ومضى يسبح بين السابحين
رده السقف سريعاً فهوى   طارفَ العينين مكتومَ الأنين
وكسا ريش جناحيه دمٌ   من جراح الصدر أو نضح الوتين
وإذا غنى لديه طائر   لم يذق قبلُ عذاب الراسفين
بلغت لوعته غايتها   وتوالى النوح والدمع السخين
يعرف المحزون أقصى حزنه   حين يمسى فى قبيل ضاحكين
أيها العانى برغمى أن أرى   ما تلاقى من عذاب وشجون
أيها الطائر مالى حيلة   ليت من صادوك يوماً يشفقون
حسبوا أنك فيهم ناعم   أولا تأكل مما يأكلون ؟
أولا تمسى لديهم آمناً   وترى الأحسان فيما يصنعون ؟
قفص تصدح فيه سالماً   أين من زينته سود الوُكون
وصحاف وشراب طاهر   وهدوء لم ينله المترفون
قبما لو حاسبوا أنفسهم   لمضوا عن ذنبهم يستغفرون
أين هذا القيد من حرية   هى أحلى لك مما يصفون